مجلة جامعة الملك سعود، م ١٠، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١)، ص ص ٨٩-١١١ (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

الدافعية النفسية في العقيدة الإسلامية

مروان إبراهيم القيسي
أستاذ مشارك، قسم أصول الدين، جامعة اليرموك، إربد، الأردن

ملخص البحث. تبدو أهمية هذا البحث في محاولة الباحث استخلاص معالم لنظرية الدافعية النفسية في العقيدة الإسلامية. ولتحقيق تلك الغاية يناقش الباحث طبيعة الدافعية الإسلامية ودورها في توجيه الدوافع الإنسانية المختلفة. كما يتعرض في البحث لخصائص الدافعية الإسلامية التي تميزها عن غيرها من أنواع الدافعية.

مقدمـــــة

تكاد تكون دراسة السلوك الإنساني أحد أهم الموضوعات النافعة والمهمة والضرورية في حياة المجتمعات والأمم. فالإنسان هو ذلك الكائن الذي سخر الله له ما في السموات وما في الأرض. ووفق سلوكه وتصرفاته تتحدد كثير من الأمور التي تخصه وتخص غيره من الأفراد. بل وتؤثر في المخلوقات الأخرى وفي البيئة والكون.

وسلوك الأفراد لا يتأتى من فراغ. فإنه ينشأ ويتكون نتيجة قيام الفرد بالاستجابة إلى دوافع مادية ومعنوية، من داخل الفرد ومن خارجه. وهذه الدراسة محاولة لكشف اهتمام العقيدة الإسلامية بالدوافع وطريقة تعاملها مع تلك الدوافع.

أهمية البحث

يعد موضوع الدافعية من أهم موضوعات علم النفس والعقيدة على حد سواء. إذ

لا يكاد يخلو فعل إنساني من دافع. لذا كان من الضروري دراسة الدوافع وتحليلها لما لذلك من آثار على ميادين الحياة كلها من إنتاج وتدريس وتربية وقيادة للجماعات. فالموضوع مهم لصانع القرار والمعلم ومدير المصنع . . . إلخ. وبالنسبة للعقيدة، فقد ربطت الأعمال بالنيات. فلا يُقبل عمل بدون نية. ولا يمكن لعمل من الأعمال الشرعية أن يؤثر في سلوك المسلم إذا خلا من النية (الدافع).

أسئلة الدراسة

هل يمكن القول إن هناك تصورا إسلاميا واضح المعالم محددا للدافعية ودورها؟ وإن كان هناك مثل هذا التصور، فما المراد بالدافعية من وجهة نظر العقيدة الإسلامية؟ وما دور الدافعية الإسلامية في التأثير في سلوك الأفراد وفي توجيه وترشيد الدوافع الأولية والثانوية؟ وما هي خصائص مثل تلك الدافعية؟

الدراسات السابقة

تناول موضوع النية كثير من شراح كتب الحديث النبوي، ولا سيما عند تعرضهم لشرح حديث (إنما الأعمال بالنيات). وأبرز أولئك الشراح ابن حجر العسقلاني في الجزء الأول من كتابه *فتح الباري*. ونظرا لأهمية النية في الشريعة بعامة فقد تناول بحثها عدد من العلماء قديما وحديثا فأفردوها في كتب. من أولئك السيوطي الشافعي في كتابه *منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال*، وأحمد بن إدريس القرافي المالكي في كتابه *الأمنية في إدراك النية*. ومن المحدثين عمر سليمان الأشقر في رسالته للدكتوراه وهي مطبوعة بعنوان *مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين*.

ولقد خصص محمد قطب في كتابه *في النفس والمجتمع* فصلا عن النفس والجسم تكلم فيه بصورة إجمالية عن العلاقة المتبادلة بينهما. وفي كتابه *دراسات في النفس الإنسانية* يرى محمد قطب أن الدوافع كلها يمكن تلخيصها في دافع واحد هو حب الحياة. وأنها بعدئذ تتفرع وتتشعب في كل اتجاه. فحب الحياة هو المحرك الأكبر لما يصدر عن المرء من نشاط. وهو يشمل فرعين رئيسين هما: حفظ الذات وحفظ النوع، وتتفرع عن هذه فروع أخرى. ويفرق محمد قطب بين الدوافع والضوابط، ويصف الأخيرة بأنها فطرية تولد مع

الإنسان لكنها لا تظهر في مبدأ الأمر كما تظهر الدوافع، لأنها في حاجة إلى مساعدة خارجية ليتم لها النماء والنضج.

وفي كتابه *الحديث النبوي وعلم النفس* يبحث محمد عثمان نجاتي في فصل كامل دوافع السلوك في الحديث النبوي، ويقسمها إلى دوافع فسيولوجية ودوافع نفسية وروحية. ويبحث في العلاقة بين الدافع والانفعال والصراع بين الدوافع ووسائل السيطرة عليها وانحرافها وطرق علاجها.

الدوافع من وجهة نظر علم النفس

للدوافع تعريفات عديدة عند علماء النفس. منها أن «الدوافع حالات أو حاجات فيزيولوجية أو نفسية تكمن في الفرد، وتجعله ينزع إلى السلوك في اتجاه معين لتشبع الحاجات. وقد يطلق عليها أسماء من نوع الغرائز والحاجات أو أسماء من نوع الميول والرغبات. ولكنها في كل الحالات تظهر على شكل طاقة أو حاجة داخلية محرضة ومحركة ويمكن أن تكون شعورية أو لا شعورية» [١، ص٦٦].

إن التعريف الآنف الذكر يتعامل مع الدوافع والحاجات باعتبارها أشياء واحدة. لكن من الباحثين في علم النفس من يفرق بينهما، فيقول عبد الرحمن عدس: «نظرا للصلة الوثيقة بين الحاجة والدافع، فقد فهم البعض أنهما اسمان لنفس الشيء الواحد، واستخدمهما بعض علماء النفس بنفس المعنى. وللتمييز بينهما يستخدم مفهوم الحاجة للدلالة على الحالة الفيزيولوجية للخلايا الناجمة عن الحرمان، بينما يستخدم مفهوم الدافع للدلالة على الحالة السيكولوجية الناجمة عن الحاجة والتي تدفع الفرد للسلوك باتجاه إشباع الحاجة. وبهذا يمكن القول إن الدافع هو الجانب السيكولوجي للحاجة» [٢، ص٢٧٢].

والحاجات التي يعمل الإنسان جاهدا لإشباعها عديدة، منها الحاجة للطعام والماء والنوم والدفء والبرودة، والحاجة للأمن والسلامة والحماية من المرض، والحاجة للنشاط، والحاجة للتقدير الاجتماعي والانتماء، والحاجة للتعبير عن الذات وتوكيدها، والحاجة لارتياد البيئة والتعامل مع ما فيها رغبة في الحذر من المخاطر، والحاجة للعمل، والحاجة للجنس، والحاجة للشعور بأن للفرد قيما وآمالا ومثلا عليا وأهدافا مستقبلية.

ومن الباحثين من ينظر للدوافع بمعناها الأكثر شمولية واتساعا، فيرى أن كلمة دافع

«تدل على كل ما يحرك أو يحفز أو يدفع الإنسان إلى القيام بعمل ما أو نشاط ما. وهكذا نجد أن الدوافع تعني: الحوافز والبواعث والمثيرات والحاجات والانفعالات والعادات والأهداف والمطامح والآمال لأنها جميعا تدفع المرء إلى سلوك معين، وأداء نشاط معين لتحقيق ما يرتبط بها من غايات» [٣، ص٥٥٥]. وقد ذهب إلى ذلك أيضا مصطفى فهمي إذ يقول: «إن المدلول الحرفي لكلمة (دافع) يتضمن كل ما سبق من حيث إنه يتضمن معنى التحريك أو الدافع» [٤، ص٣٩].

أنواع الدوافع

يقسم علماء النفس الدوافع إلى مجموعتين رئيسيتين هما:

١- الدوافع الأولية، وتسمى الدوافع الأساسية أو الفطرية أو الطبيعية أو العضوية أو الغرائز. وتتمثل أهميتها في احتفاظ الإنسان بكيانه العضوي، وذلك مثل دافع الجوع والعطش أو لحفظ نوعه مثل دافع الجنس. فهذه الدوافع وأمثالها لا يتعلمها الفرد ولا يكتسبها، وإنما يولد وهي معه رحمة من الله تعالى به، لأنه بدونها لا ينمو ولا يؤدي جسمه وظائفه الحيوية، وبها يمكنه أن يؤدي حاجاته الضرورية تلقائيا، وبها يحمي حياته من الضرر والخطر.

٢- الدوافع الثانوية وتسمى أيضا الدوافع المكتسبة أو الاجتماعية أو البيئية. وهي بخلاف الدوافع الأولية ليست ضرورية لاستمرار حياة الفرد ولالبقاء نوعه. وهي أيضا تخص الإنسان دون الحيوان. وهي مكتسبة يكتسبها الفرد خلال عملية التطبيع الاجتماعي، وتعتمد على خبرات الفرد. ومنها ما هو عام بين الأفراد، وبعضها الآخر شخصي يتميز به أفراد دون أفراد، مثل حاجة صاحب هواية لإشباع حاجته [٥، ص ص ١٨٤-١٩٥].

ومن الأمثلة على الدوافع الثانوية دافع التقليد، وحب الاستطلاع، وحب الاجتماع، والميل إلى السيطرة وتأكيد الذات، والحاجة للحنو والانتماء والنجاح وغيرها. فالدوافع الثانوية دوافع ذاتية شخصية ودوافع نفسية واجتماعية.

أهمية الدوافع في حياة الإنسان

تأتي أهمية الدوافع - أولية كانت أم ثانوية - من كونها الجانب الأهم والأقوى في

سلوك الفرد. فهي المحرك لكل سلوك يقوم به المرء في حياته. ومن هنا كان التعرف على دوافع الأفراد وتحليلها ووضع العلاج للسلبي منها مهما في ميادين الحياة كلها، في السلم والحرب، وفي التعليم والإنتاج، وفي الصناعة والزراعة، وفي إدارة المؤسسات وتدبير شؤون الأسرة، وقيادة الجماعات، وفي بناء العلاقات الاجتماعية، كي يتناسب وينسجم مع السلوك الأمثل، وتوجيه المكتسب الاجتماعي منها وجهته الصحيحة. وبمعرفة الدوافع يتمكن المرء من فهم نفسه وفهم الناس. ومن هنا كان موضوع الدوافع موضوعا يهم صانعي القرار السياسي والاقتصادي والقيادات الاجتماعية والدينية والمسؤولين عن المؤسسات التعليمية وغيرها، وكذلك الأفراد والآباء والأمهات.

الدوافع والدافعية من وجهة النظر الإسلامية

لا يمكن إنكار أو استجواب الحقيقة التي مفادها أن سلوك الإنسان يصدر عن دوافع مختلفة متنوعة طبيعية أو مكتسبة، وأن هذه الدوافع ضرورية من حيث إنها تحفز الفرد وتدفعه لمواجهة مصاعب الحياة.

والإسلام يقر ويعترف بالدوافع الأولية لدى الفرد، إذ هي ضرورية لاستمرار الحياة البشرية على الأرض، فإنه يعمل على أن تؤدي هذه الدوافع وظائفها دون مبالغة ودون أن تتجاوز حدودها، وبحيث تظل في حدود الغايات التي خُلقت من أجلها، وهي بقاء النوع وحفظ الفرد، وبحيث تظل وسائل لتلك الغايات، لا أن تصبح غايات بحد ذاتها. فنحن نأكل لنعيش ولا يجب أن نعيش لنأكل. وكذلك إشباع دافع الجنس وسيلة لبقاء النوع وخفض التوتر، ولا ينبغي أن يصبح غاية، لأن النتائج عندئذ تكون وخيمة، كما هو الحال الآن عند كثير من أمم العالم الغربي. وهكذا القول بالنسبة لبقية الدوافع الأولية، لا ينبغي تنميتها وزيادة إشباعها دون حدود، وإنما ينبغي العمل على ضبطها وترشيدها. فوجودها ضروري ومهم، وإشباعها كذلك، ولكن إطلاقها دون قيود، وتجاوزها لمهامها التي خلقت من أجلها ضار ومُدمر.

أما الدوافع الثانوية المكتسبة، فإقرار الإسلام لها أمر لا يُشك فيه، إذ هي حقائق لا يستطيع أن ينكرها أحد. لكن الإسلام يريدها أن تكون منسجمة مع الغاية التي من أجلها خلق الإنسان، ومحققة لها، بحيث تنصب كلها في سبيل تحقيق تلك الغاية. وبحيث

تكون حياة الفرد كلها وإمكانياته ودوافعه مسخرة في سبيل تحقيقها، كما قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ (الأنعام، ١٦٢). والمراد بالغاية التي نتكلم عنها عبادة الله. قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات، ٥٦).

إن عبادة الله تعالى بمعناها الواسع، وهي تحقيق العبودية والطاعات لله بكل ما يريد، يمكن أن توصف بأنها الباعث الرئيس الأول والأخير في حياة المسلم. فهي الموضوع الذي يهدف إليه ويوجه إليه استجاباته. أما الدوافع الأولية والثانوية، فإنها بعد جعلها منسجمة تماما مع تلك الغاية، تعد الوسائل التي يسعى بها الفرد للوصول إليها وتحقيقها.

إن رضا الله ومحبته ينبغي أن تكون الحاجة الأولى والأخيرة التي يسعى المسلم إلى إشباعها. وما يختلج في نفس الفرد من رغبات، وما يسعى إلى تحقيقه من أهداف ينبغي أن يكون منسجما ومؤديا إلى تلك الغاية الكبيرة الأساسية المهمة، بحيث يناضل الفرد في سبيل الوصول اليها، وبحيث تشكل هذه الغاية طموحاته وهمومه وأحزانه، فيواجه المصاعب والمشاق لتحقيقها. فهي التي تُدخل السرور والسعادة عليه ويجنبه تحقيقها الشقاء والحزن.

ولا يعني ما سبق إنكار أو التنكر للدوافع الأولية والثانوية كما هي عند علماء النفس، وإنما يعني توجيهها وتهذيبها وتعديلها لتتناسب مع ما يريده الله ولما يرضي الله تعالى، ووفق ما يريد سبحانه من وسائل بينها شرعه ممثلا في الكتاب والسنة. فإشباع الدوافع الأولية والثانوية أمر مهم في نظر الإسلام. لكن ينبغي أن يكون إشباعا مشروعا بالوسائل التي شرعها الله، ولغايات تصب في الغاية التي من أجلها خلق الله البشر كافة.

إن رضا الله ومحبته ينبغي أن تكون القيمة الباعثية التي يعلقها المسلم على قيامه بسلوك ما. كما أن سلوك المسلم في أي مناسبة ينبغي أن يرتبط بحوافز الأجر من الله وتحقيق رضاه والسعي لجنته ونعيمه وزيادة ميزانه ورصيده من الحسنات. هذا بالنسبة للأخذ بأمر الله. وعند إحجام المسلم عن معصية الله ينبغي أن يرتبط مثل هذا السلوك بحوافز سلبية، وهي تسجيل السيئات في ميزانه والخوف من عذاب الله وغضبه.

وهكذا فليس المراد بالدافعية من المنظور الإسلامي الدوافع الفطرية التي تنتقل للفرد عن طريق الوراثة، ولا الدوافع الثانوية التي يكتسبها الفرد جراء تفاعله مع بيئته الاجتماعية

كالشعور بالواجب. وإنما المراد بالدافعية الإسلامية تلك الدوافع التي يكتسبها الفرد المسلم جراء تفاعله مع تعاليم دينه ومن خلال عملية التربية والتنشئة في أسرته المسلمة وفي مجتمعه المسلم، بحيث يصبح رضا الله ومحبته وثوابه والسعي لجنته والهرب من ناره محور حياته، وبحيث تسخر لذلك الدوافع الأولية والثانوية لديه. ولكن هل الدوافع الإسلامية هي دوافع مكتسبة أم أولية؟

طبيعة الدافعية الإسلامية

كيف يمكن أن نصف الدافعية الإسلامية؟ هل هي أولية فطرية أم ثانوية مكتسبة؟

يقول تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله﴾ (الروم، ٣٠). ويقول صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يُولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.»[١]

والمراد بالفطرة الحالة السوية التامة لا نقص فيها والتي يُولد عليها كل مولود من بني آدم، وهي التوجه لعبادة الله والاستعداد للالتزام بأوامره واتباع وحيه. فدافع التدين الصحيح يصاحب الإنسان منذ ولادته. لكنه سرعان ما يتعرض للاضمحلال نتيجة لظروف البيئة المضادة له، وعدم وجود الظروف الصحيحة التي يمكن أن ينمو فيها ويزدهر. وإلى هذا أشار المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوله: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.»

وهكذا فإنه يمكن القول إن الدافع المطلوب من المسلم تحقيقه في نفسه يُولد مع كل مولود. فهو دافع أولي من هذا الجانب. لكن بعد اضمحلاله يصبح السعي لاكتسابه فريضة على كل فرد من أفراد البشرية. فهو من هذا الجانب مكتسب اجتماعي من خلال التنشئة الاجتماعية ومن خلال النمط الثقافي الذي يحياه الفرد المسلم في أسرته وبيئته الإسلامية الكبيرة.

فالدافعية الإسلامية تشترك – كبقية الدوافع – مع غيرها في الأساس الفطري، مثلها في ذلك مثل بقية أنواع الدوافع، ثم تأتي التنشئة الأسرية والبيئة الاجتماعية فتشكلها وتوجهها.

---

١ رواه البخاري في الجنائز (١٣٨٥)، وأبو داود في السنة (٤٧١٤)، وأحمد (٧١٤١) ومالك في الجنائز (٥٦٩).

أهمية الدافعية الإسلامية

من المعلوم أن الإسلام يشترط النية لكل عمل يقوم به المسلم خلال حياته باستثناء الأفعال الاضطرارية كالضحك والبكاء وأمثالهما. فكل عمل لا نية لله منه، أو من ورائه قصد غير الإخلاص لله وطلب رضاه وثوابه، هو عمل لا جدوى من ورائه عند الله، ولا أثر له في إحداث سلوك إيجابي في شخصية المسلم. قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ (الكهف، ١١٠). وقال صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله. ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه.»[٢] قال ابن حجر فيما يرويه عن أبي عبد الله: «ليس في أخبار النبي شيء أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث» [٦، جـ١، ص١٧]. وروى أيضا عن البيهقي قوله: «إن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه. فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها. لأنها قد تكون عبادة مستقلة وغيرها يحتاج إليها» [٦، جـ١، ص١٧]. وروى عن البيضاوي قوله: «النية هي انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مآلا» [٦، جـ١، ص١٩].

إن إيجاب أن يكون القصد من كل فعل اختياري يقوم به الإنسان هو رضا الله أمر منطقي وهو حق وعدل. إذ لما كان الله هو الخالق والمحيي والمميت والرازق والمدبر لكل شيء، كان من المنطقي والطبيعي أن يكون القصد المراد من الأعمال رضاه وثوابه.

ولا ينبغي أن يكون القصد من العمل رضا الله فحسب، بل ينبغي أن ينضم إليه شيء آخر وهو الحسبة أو الاحتساب، أي طلب الثواب من الله وقصده عند القيام بالعمل. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا أجر لمن لا حسبة له.» وقال ابن حجر: «الأعمال الشرعية معتبرة بالنية والحسبة. والمراد بالحسبة طلب الثواب.»

ولم تشرع النية عبثا، بل لما لها من فوائد عديدة تعود على الفرد والجماعة. فالنية، التي تمثل الدافعية المكتسبة من وجهة نظر علم النفس، تعد أهم عامل في ارتقاء سلوك

٢ رواه البخاري في بدء الوحي (١)، والرقائق (٦٤٩٣)، والقدر (٦٦٠٧)، ورواه مسلم في الإمارة (١٩٠٧)، والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٤٧)، والنسائي في الطهارة (٧٥)، وأبو داود في الطلاق (٢٢٠١)، وابن ماجه في الزهد (٤١٩٩)، وأحمد في مسند العشرة (١٦٩).

المسلم. إذ أنها تسمو وتهذب أسلوب تلبيته للدوافع الفطرية والاجتماعية. وهي تمثل حافزا معنويا هاما يدفع بالفرد إلى بذل أقصى طاقاته لإرضاء الله. كما أنها تعينه على تحقيق الغاية من وجوده، فيزول بذلك القلق من حياته.

والدافعية الإسلامية تعد قوة نفسية مؤثرة وفعالة لتجاوز الفرد للعوائق على كافة المستويات وتخطي العقبات وإمداد النفس بأمرين: الصبر على ما وقع والأمل بالمستقبل، وهو ما يعْنيه حسن الظن بالله. ولما كانت العلاقة بين النفس والجسد علاقة متبادلة، فوحدة النفس والجسد أمر لا يمكن إنكاره، فإن كل ما يؤثر في النفس إيجابا، يؤثر على الجسد إيجابا كذلك.

دور الدافعية الإسلامية في توجيه الدوافع الأولية والثانوية

إن الإسلام وهو يُقر ويعترف بوجود الدوافع الأولية والثانوية، يعمل على التأثير فيها بحيث تكون إيجابية مؤثرة ومنسجمة مع الغاية التي خلق من أجلها الفرد.

أما الدوافع الأولية، وهي الضرورية لاستمرار الفرد في تأدية وظائفه الحيوية، فإن تعامل الإسلام معها يتمثل في توجيهها والتحكم فيها وتعديل طرق إشباعها وفقا لمنهج الإسلام في الحياة، وبطريقة تنسجم مع الغاية من خلق الإنسان ووجوده، وبحيث تظل وسائل لاستمرار تأدية الوظائف الحيوية عند الفرد، لا أن تصبح غايات في حد ذاتها.

إن إشباع الحاجات الأولية أمر ضروري كي يتفرغ الفرد لإشباع دوافعه الثانوية. وطرق إشباع الحاجات الأولية ليست سواء عند كل الثقافات والأديان. وبالنسبة للثقافة الإسلامية، فإن طرق إشباع الحاجات الأولية تنسجم مع تحقيق الدافع من وراء خلق الإنسان وإيجاده، ألا وهو عبادة الله والسعي لرضاه وثوابه وجنته، ويتم ذلك عن طريق الالتزام بمنهج التحليل والتحريم. و هكذا فلا يتم تلبية مطالب الدوافع الأولية لمجرد أنها تُلح على صاحبها، بل يكون من ورائها غايات ودوافع أخرى أهم وأسمى منها.

إن التوجيه والترشيد هو السمة التي تتصف بها منهجية الإسلام في التعامل مع الدوافع الأولية. فغريزة الجنس يتم إشباعها عن طريق الزواج المبكر، بحيث تكون الغاية من إشباعها إحصان الفرج وغض البصر و إنجاب الولد الذي يعبد الله ويُوحده. وكل

هذه طاعات لله. وغريزة حب المال يتم إشباعها عن طريق المنهج الإسلامي في جمع المال الحلال لغاية إنفاقه على الأهل قربةً لله وعلى الفقراء في سبيل الله وتجهيز ودعم جيوش المسلمين. والشيء نفسه يقال لبقية الدوافع الأولية، بل وللدوافع الثانوية كما سيأتي بيانه. وهذا الأسلوب في تحقيق الانسجام بين الدوافع هو أسلوب رائع كما يشير إلى ذلك فايز الحاج: «إن أسلوب الإسلام النفسي، أسلوب رائع في تجميع الدوافع الإنسانية والطاقات لها وتوجيهها واستسلامها لله جل جلاله. ولا شك في أن وجود فكرة أو عقيدة واضحة شاغلة لذهن الفرد بحيث توجه جهوده لتحقيقها أمر يترتب عليه أرقى أنواع التكامل الخلقي وتكامل الشخصية» [١، ص ٧٤].

إن الدافعية الإسلامية، إذا اكتسبها المسلم بصورة صحيحة وعمل على تنميتها، تصبح لها من القوة ما يجعلها مؤثرة في الدوافع الأولية، تأثيرا واضحا. فالكرم الذي أمر الإسلام به وحث عليه، إذا استولى على قلب المسلم جعل غريزة حب التملك شيئا يمكن السيطرة عليه. والشجاعة وحب الجهاد والموت في سبيل الله يجعل من المسلم إنسانا تهون عليه راحته وطعامه وشرابه. والصائم في الحر الشديد ابتغاء مرضاة الله تضعف عنده حاجته إلى الطعام. وبهذا يمكن لنا معرفة السر الذي كان وراء تحقيق المسلمين لانتصارات في معارك لم يكونوا فيها متكافئين بالعدد ولا بالعدة مع خصومهم، والتاريخ مليء بالشواهد من بدر إلى القادسية واليرموك. ولا عجب في ذلك، فالدوافع النفسية التي تعد الدافعية الإسلامية أقواها، هي الأصل لكل الدوافع الأخرى في حياة المسلم. فلا عجب أن للدوافع النفسية من الأهمية ما ليس لغيرها، فكما يقول عدس: «تلعب الدوافع النفسية دورا كبيرا في حياة الإنسان يفوق في كثير من الأحيان الدور الذي تلعبه الدوافع البيولوجية التي تعتبر سهلة الإشباع إلى حد ما»[٢، ص ٢٧٨]. وفي معرض حديثه عن تكامل الشخصية، فإن مكدوجل يرى أن تكامل الشخصية رهن بشرطين:

١- انتظام ما لدى الفرد من غرائز في عواطف.

٢- انتظام هذه العواطف في بناء تُتوّجه عاطفة اعتبار الذات[٥، ص٧٩].

وفيما يخص الدوافع الثانوية، وأهمها الحاجة إلى التقدير الاجتماعي، والحاجة إلى الانتماء، والحاجة إلى التعبير عن الذات وتوكيدها، فإن الإسلام يتعامل معها كما يتعامل مع الدوافع الأولية، يقر بوجودها، لكنه يوجهها ويُعدلها كي تنسجم مع الغاية

الأولى والأخيرة من خلق الإنسان ووجوده.

فالحاجة إلى التقدير الاجتماعي ضررورية، وإحباطها يؤدي إلى العزلة والاغتراب، وعدم الأمن، واحتقار الذات، والحرمان من الحب، وكره المجتمع، وربما الانتحار. وإشباع الحاجة إلى الانتماء ضروري كذلك، كي لا يشعر الفرد بأنه مُهمَل غير مرغوب فيه، بل مقبول عند جماعته. وإشباع الحاجة إلى التعبير عن الذات ضروري من حيث الحيلولة بين الفرد وبين الخنوع والخضوع والاتكال على الغيروالهروب من التنافس.

إن ما شرعه الإسلام من تشريعات اجتماعية وشعائر وعبادات جماعية وتشريعات أخلاقية عديدة، إنما هو ضمانة كافية لتحقيق الفرد لإشباع دوافعه الثانوية، وفي مقدمتها تقدير الآخرين والشعور بالانتماء. وهذه التشريعات تكفل حفظ الفرد من مضاعفات عدم إشباع هاتيك الدوافع. ومن ذلك ما ورد من الأمر بالذب عن المسلم عند ذكره بسوء حال غيابه، والإصلاح بين المسلمين، ومقابلة الإحسان بالإحسان، وإغاثة الملهوف، وحسن الاستماع، ورد التحية بأحسن منها، وإفشاء السلام، والتعاون على البر، وشكر من يصنع المعروف، وإرشاد من يحتاج للإرشاد، وإكرام الجار والضيف، وإخفاء الصدقة، وستر عورات الناس، وخفض الجناح للمؤمنين، والمصافحة والتزاور في الله، ومواساة المسلمين في مصائبهم، وتوقير أهل الفضل، وحسن الظن بالمسلمين، وتكافلهم، والاختلاط بالناس، واحتمال الأذى، وإدخال السرور على المسلم، والتواضع للمسلمين، وإخبار المسلم بحبه لأخيه، وترك المسلم ما لا يعنيه، وإجابة الداعي، والمشاركة في ا حتفال المسلم بزواجه، والاعتدال في المحبة والكره، إلى غير ذلك.

والمسلم، حتى في حالة إهماله اجتماعيا من قبل الآخرين، فإن عمله بطاعات الله وسعيه لرضاه يُكسبه رضا عن نفسه وعن ذاته يغنيه عن تقدير الآخرين له. بل إن رضا المجتمع وتقديره ينبغي أن يُطرح ويهمل إذا كان على حساب رضا الله عز وجل. فرضا الآخرين ليس غاية ولا يحتاجها المسلم كما يحتاجها غير المسلم وبنفس الدرجة، لأن في رضا الله عنه ما يعوضه في حالة فقدانه لتقدير الآخرين. قال صلى الله عليه وسلم: «من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس.»[٣]

٣ رواه الترمذي في كتاب الزهد (٢٤١٤).

إن المسلم يشبع حاجته إلى تحقيق ذاته بالسعي لرضا الله، وهو أمر سامٍ ونبيل ومطلبه رفيع. بحيث يشعر بالارتياح والسعادة عند طاعته لربه وخالقه ومالك أمره. فيكون كما وصفه رسول الله من تسرّه حسنته وتسوؤه سيئته، وأي تحقيق للذات أعظم من أن يشعر المرء بأنه يعيش لأجل الغاية التي وجد وخلق من أجلها بغض النظر عن رضا الناس عنه وتقبلهم له.

والشيء نفسه يمكن أن يقال بالنسبة للحاجة للانتماء، فالمسلم بانتمائه لدينه وربه يحقق هذه الحاجة على أتم وجه، حتى ولو كان في مجتمع غريب عن مجتمعه بعيد عن وطنه وقومه المسلمين.

وهكذا يزود نظام الدافعية الإسلامية الفرد بضمانات تحول بينه وبين الاغتراب والعزلة واحتقار الذات والحرمان من الحب والخنوع والخضوع والاتكال على الغير.

خصائص الدافعية الإسلامية

للدافعية الإسلامية من الخصائص ما يجعل أصحابها يبذلون الجهود المتتابعة في سبيل تحقيق وإشباع الغرض الذي يشكل غايتهم في الحياة وهو رضا الله تعالى ونيل ثوابه ودخول جنته. فأولى خصائص الدافعية الإسلامية وضوح الغرض المرتبط بها وهو رضا الله تعالى. يضاف إلى ذلك وضوح الوسائل التي يؤدي العمل بها إلى تحقيق ذلك الغرض. فما شرعه الله من أوامر، وما نص عليه شرعه من نواه واضحة، كل ذلك بلغه الرسول لأمته قبل وفاته وبينه وأوضحه قولا وفعلا وممارسة. فكانت أفعاله قدوة واضحة يتبعها المؤمنون. فالغرض واضح ومُحدد، غير متعدد وهو رضا الله. والوسائل محددة كذلك متمثلة في شرع الله، كتابه وسنة نبيه.

ومن خصائص الدافعية الإسلامية حيوية الغرض الذي يسعى الفرد لتحقيقه. ومعلوم أنه «كلما زادت حيوية الغرض زاد الجهد المبذول، واستمر الفرد في بذله حتى يحقق الغرض المنشود. أي كلما كان الدافع قويا كانت المحاولات كثيرة ومتعددة» [٧، ص٧] بحيث يصل الفرد إلى هدفه الذي يسعى من أجله. ومعلوم أنه إذا كان الدافع المرتبط بالسلوك ضعيفا، فإن احتمال ظهور السلوك يكون بالتالي ضعيفا. وقوة الدافعية الإسلامية ضرورية. ذلك أن الصعوبات التي تعترض تحقيق غاية الفرد في الحياة

وطموحاته المرتبطة بتلك الغاية عديدة ومتنوعة. فإن لم يكن الدافع الذي يسوقه لغاياته قويا فإنه لن يتمكن من بلوغها وسيصاب بالإحباط.

وحيث إن قوة الدافع مرتبطة بحيوية الغرض، ولما كان رضا الله هو الغرض الذي يسعى إليه المسلم خلال حياته كلها، فإن ذلك يتطلب استمرارية الدافعية واستمرارية السعي لتحقيق الغرض. وينتج عن ذلك استمرارية السلوك المرتبط بالدافعية. والسلوك الناشئ عن السعي لنيل رضا الله سلوك كله خير. إذ الله لا يأمر إلا بالخير والمعروف ولا ينهى إلا عن الشر والمنكر. وتبدو استمرارية السلوك واضحة في أن المسلم ليس غايته إرضاء الآخرين ولا نيل شكرهم ومديحهم، كما قال تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا﴾ (الإنسان، ٩).

إن غاية المسلم هي إرضاء الله، وسبيله في ذلك طاعة الله والإحسان إلى الخلق. فالخلق هم محل الطاعات، لكن غاية الطاعات هو الله. فالله لا يأكل ولا يشرب وليس بحاجة لغيره. إنما يريد أن يُطاع في الإحسان إلى خلقه وإقامة العدل ونشر الخير على أن يكون ذلك وفق أمرين:

١- أن يكون الغرض الذي يريده الفرد من صنع الخير هو إرضاء الله ولا شيء سواه.

٢- أن يتم ذلك وفق الوسائل التي شرعها الله في كتابه وسنة نبيه.

ولما كانت غاية المسلم رضا الله لا رضا الخلق ولا شكرهم ولا ثناءهم عليه، فإن هذا يعطي زخما غير منقطع لاستمرار المسلم في عمل الخير وفي القيام بالسلوك الأمثل. وكما قال تعالى في الثناء على أهل الإيمان: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ (القصص، ٨٣). فمن كانت غايته الله لن يتوقف عن فعل الخيرات مع البشر، لأنه لا يتعامل معهم، فليس رضاهم هو الغرض الذي يسعى إليه في تعامله معهم، وإنما هم محل تعامله. أما غايته وغرضه، فإنه رضا الله سبحانه وتعالى. وأي مكروه يناله أو صعوبة تعترضه خلال تعامله معهم لا تفت في عضده لأن في رضا الله عوضا له عن كل فائت. فالدوافع الإسلامية ليست قصيرة المدى وإنما هي دوافع طويلة المدى. ولذا فإنها تؤثر في سلوك الفرد فترة زمنية أطول. والأغراض التربوية بطبيعتها بعيدة غير مؤقتة. ولذا فإن الدوافع الإسلامية دوافع تربوية بالدرجة الأولى.

إن حاجات المسلم النفسية مرتبطة بمدى تحقيقه للغرض الذي يعتقد أنه الغاية من وجوده وحياته. وهو في سعيه لتحقيق ذلك يتحقق له إشباع حاجاته النفسية، مما يؤدي إلى التوازن في أداء وظائفه النفسية. ويختل هذا التوازن كلما عصى المسلم ربه. لكن سرعان ما يعود إلى طبيعته بما فتحه الله له من باب التوبة، وبما ورد من الحث على الاستغفار.

وبالإضافة إلى اتصاف الدافعية الإسلامية بوضوح الغرض وحيويته، فإنها تتصف كذلك بالإيجابية والواقعية. فالإشباع الذي تحققه ليس نفسيا كله. بل هناك حوافز مادية تتمثل في الترغيب في الجنة وما فيها من نعيم، والترغيب فيما تؤدي إليه طاعة الله في الدنيا من نصر ونعم مادية، كما قال تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ (محمد، ٧). وقال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ (الأعراف، ٩٦). كما تتضمن حوافز إيجابية أخرى تتمثل في احترام المجتمع المسلم وتقديره للطائعين.

وكما تتضمن الدافعية الإسلامية حوافز إيجابية، فإنها تتضمن حوافز سلبية تتمثل في الترهيب من غضب الله وناره في الآخرة وعقابه ومصائبه في الدنيا لأولئك الذين يحيدون عن أوامره ويتجرؤون على نواهيه.

أما الشمولية، فإنها صفة أخرى من صفات الدافعية الإسلامية. ذلك أن الغرض من دوافع المسلم كلها هو رضا الله تعالى. ومجال وميدان عمل الدوافع هو الحياة كلها بشتى مظاهرها ومواقعها دون استثناء مجال أو ميدان أو موقف أو مظهر منها. فالغاية من وراء إقامة علاقات اجتماعية ينبغي أن تكون تحقيق رضا الله الذي يريد من عباده ذلك. والغاية من ممارسة الزوج الجنس مع الزوجة ينبغي أن تكون رضا الله من خلال قصد تحصين الفرج وغض البصر وإنجاب الولد الذي يوحد الله ويعبده. والغاية من الصبر على مصاعب الحياة يجب أن تكون طاعة الله الذي أمر بالصبر، والغاية من القتال والتضحية بالنفس ينبغي أن تكون إعلاء كلمة الله.

لذا فإنك لاتكاد تجد ناحية من نواحي الحياة صغيرها وكبيرها إلا وتغطيها شمولية الدافعية الإسلامية حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي

عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون لنا فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر.»[٤] وقال صلى الله عليه وسلم: «تبسّمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة[٥].

والدافعية الإسلامية توحيدية بمعنى أنها توحد أفراد الأمة الإسلامية في السعي لتحقيق غاية واحدة هي رضا الله وثوابه، وهي توحيدية أيضا بمعنى أنها توحد الأفراد في طريق واحدة لتحقيق تلك الغاية، إذ لا يُنالُ رضا الله إلا بعبادته كما يريد هو، لا كما يريد كل فرد من الأفراد، ولذا قال العلماء: لا يُعبد الله إلا بما شرع، وشرعه واحد، ومن هنا فإن الأمة تجتمع على الغاية والوسيلة، وبهذا تعمل وحدة الدافعية على تحقيق وحدة الوسائل للوصول لغرض واحد هو رضا الله.

والدافعية الإسلامية توحيدية من جانب آخر، من جانب وحدة السلوك وثباته واستقراره، أي بخلوه من التناقض والتقلب. ولا تحقق الدافعية الإسلامية انسجام الفرد مع نفسه فحسب، وإنما مع غيره من الناس، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، بحيث يستطيع أن يُنشيء مع الجميع صلات اجتماعية سوية وصحيحة. والسر في ذلك أنه يسعى بكل أعماله لنيل رضا الله. والله قد وصف نفسه بقوله: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ (النحل، ٩٠)، ووصفه رسوله بقوله: «إن الله عفو يحب العفو،» وبقوله: «إن الله رفيق يحب الرفق،» وبقوله: «إن الله محسن فأحسنوا،» وقال صلى الله عليه وسلم: «من لا يرحم لا يُرحم ومن لا يغفر لا يُغفر له.»

وهناك مظهر آخر من مظاهر التوحيدية في الدافعية الإسلامية، وهو أن تناسق الدوافع وتنظيمها في منظومة الدافعية الإسلامية، بحيث لا يوجد بينها أدنى حد من التعارض أو التنافر. إن ذلك كفيل بتحقيق وحدة السلوك واستقراره، وكل ذلك يرجع الفضل فيه إلى وحدة الغاية والغرض، رضا الله سبحانه وتعالى، ووحدة السبيل لتحقيق

---

٤ رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد في مسند الأنصار (٢٠٩٦٢، ٢٠٩٧١).
٥ تفرد به الترمذي في كتاب الصلة والبر (١٩٥٦).

ذلك، شرع الله.

ومن صفات الدافعية الإسلامية أنها تَسمُ وتُميز صاحبها بالطموح لنيل معالي الأمور، فالمسلم همّه عند ربه، وما سوى ذلك يَهون عليه أمره. وفي سبيل تحقيق الغرض الأسمى، وهو رضا الله، يتنازل عن إشباع عديد من مطالبه وحاجاته، طمعا في بلوغ الغاية العظيمة الأولى من خلقه. وهذا عامل مهم من عوامل تكامل الشخصية، ففي معرض حديثه عن عوامل تكامل الشخصية من وجهة نظر علم النفس يقول عثمان لبيب: «إن أحد العوامل هو غلبة الأهداف البعيدة على الأهداف القريبة، فالمتكامل من استطاع أن يرجئ أو أن يتنازل عن الإرضاء العاجل لحاجاته ومطامعه طمعا في بلوغ أهداف أبعد وأهم، وهنا يتضح التكامل في انسجام الدوافع وخضوع الأغراض الجزئية لغرض أكبر وأعم» [٥، ص ٧٨].

ومن ناحية أخرى «فإن قرب الغرض أو بعده يؤثر في مواقف التعلم ويعطي الدوافع أهمية» [٧، ص١٥]. فكلما كان الغرض بعيدا، كان الدافع أكثر أهمية، وكانت مواقف التعلم أكثر نفعا وإيجابية.

العلاقة بين الغرض وبين الدوافع والحوافز

الغرض هو ما يسعى الفرد إلى تحقيقه والوصول إليه وإنجازه، والدافع هو المحرك الداخلي للسلوك، فهو ينبع من داخل الشخص، فالدافع هو حاجة لشيء ما، ولكل دافع غرض يحققه ويسعى إليه. أما الحافز، فهو المحرك الخارجي للسلوك، فهو يأتي إذن من خارج الشخص، والحوافز أنواع معنوية واجتماعية ومادية، وإيجابية وسلبية. والحوافز بأنواعها تستهدف توجيه السلوك لتأدية الواجبات في مستوى عال من الأداء كما وكيفا، فالحوافز الإيجابية تكافئ، والحوافز السلبية تردع.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن الغرض أو الغاية الأولى والأخيرة عند المسلم هي نيل رضا الله تعالى واجتناب غضبه، ويتحقق ذلك بالاستجابة للحوافز، وهي عند المسلم تتمثل بالوصول إلى أكبر عدد ممكن من الحسنات وأقل عدد ممكن من السيئات، الأمر الذي سيحقق له ويمكّنه من دخول الجنة بما فيها من نعم عديدة

عظيمة، والنجاة من النار، واجتناب نقم الله في الدنيا، والحصول على نعمه وعطاياه فيها. فالترغيب في الجنة في الآخرة والنعم في الدنيا تشكل حوافز إيجابية، والترهيب من النار في الآخرة ومن المصائب في الدنيا تشكل حوافز سلبية.

أما دوافع المسلم التي تعد محركات لسلوكه وتنبع من داخله فكثيرة، أهمها المحبة والرجاء والخوف. أما المحبة فالمراد بها محبة المخلوق للخالق، وتحصل نتيجة لطاعة الله واجتناب معاصيه، وكثرة ذكره تعالى والتقرب إليه بالفرائض والنوافل، ومشاهدة بره ونعمه، وإحسانه وكرمه وتيقن ذلك، فيتكون في قلب الفرد حب لربه يدفعه للسعي لنيل رضاه واجتناب غضبه.

أما الرجاء فهو وازع داخل الفرد يدفعه لطاعة الله طمعا في نيل رضاه ودخول جنته. والخوف وازع داخل صاحبه يمنعه ويردعه عن فعل ما يغضب الله تعالى.

وحيث إن السلوك الأمثل يعتمد على كون الحوافز ثابتة وعامة وموحدة لجميع الأشخاص في جميع الأحوال، كما يعتمد على شدة الحافز وتكراره وسموه، فإنه يمكن القول إن هذه الصفات تتوافر في حوافز المسلم متمثلة في فعل الحسنات واجتناب السيئات، وهي واحدة لجميع المسلمين في جميع الأحوال، وعلى مدى زيادة رصيده من الحسنات، فالحافز متكرر في هذه الحال.

والناظر في الكتاب والسنة يجدهما مليئين بنصوص تعمل على تنمية الدوافع في نفس الفرد ترغيبا وترهيبا لزرع الخوف والرجاء، ويجد عشرات نصوص القرآن التي تبعث في نفس المسلم حب الله كي يسهل عليه أمر اتباع نصوص القرآن، وحب رسوله كي يسهل عليه اتباعه صلى الله عليه وسلم.

كما أن الناظر في نصوص الكتاب والسنة يجد المئات منها مليئة بالحوافز وهي الحسنات واجتناب السيئات في كل ميدان وفي كل موقف من مواقف الحياة.

وقبل أن نسرد أمثلة على ذلك نوضح العلاقة بين الغاية (الغرض) والحوافز والدوافع، والوسائل.

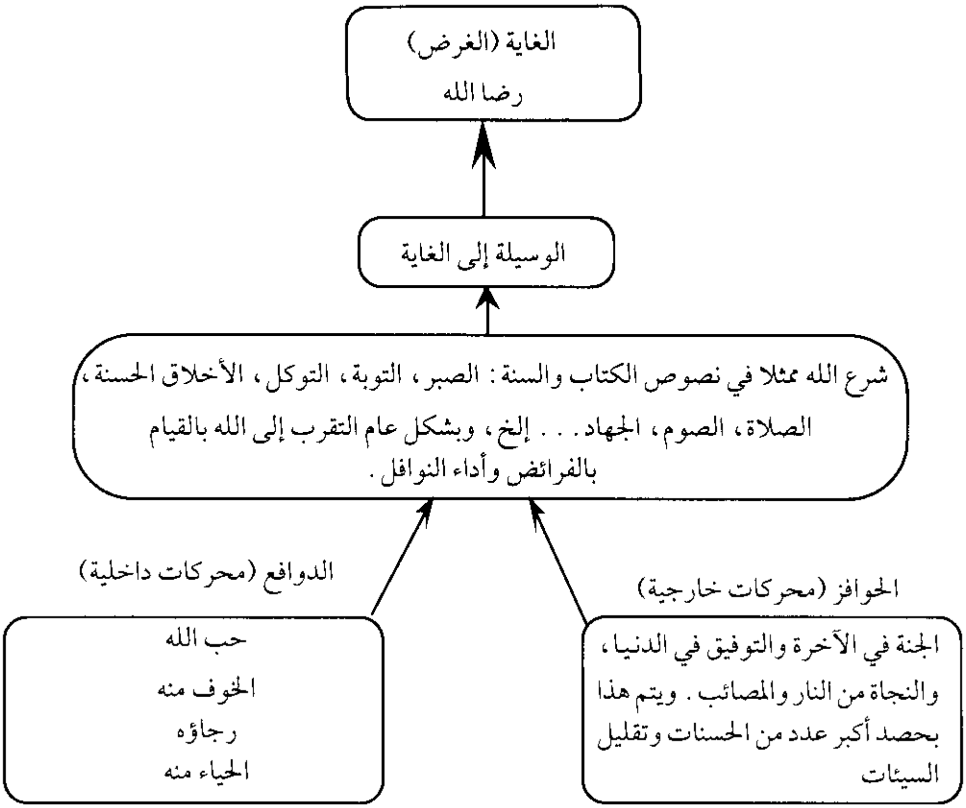

أمثلة على تطبيق الدوافع في حياة المسلم

سبق بيان أن على المسلم في أوجه نشاط حياته كافة أن ينطلق من مبدأ أن الدوافع الرئيسية لأعماله ينبغي أن تكون الخوف من عقاب الله في الدنيا والآخرة، ورجاء الأجر، والجنة؛ كل ذلك لعله ينال رضى الله سبحانه وتعالى. وهو في سعيه لتحصيل ذلك يعمل على حيازة أكبر عدد ممكن من الحسنات ورصدها في ميزانه ليوم القيامة، وتقليل سيئاته لأقل عدد ممكن كي يكون كشف حسابه لصالحه يوم الحساب. والأمثلة على ذلك عديدة.

يحوز المسلم فضيلة الصبر على المصائب رجاء لقاء الله دون خطايا كما في الحديث:

«ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة، في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة.»[٦]

ويندفع المسلم للدفاع عن ماله رجاء تحصيل الشهادة، وهي منزلة عظيمة في الجنة، كما في الحديث: «من قتل دون ماله فهو شهيد.»[٧] فلا يكون الحافز للدفاع عن المال ذاته بقدر ما يكون نيل الشهادة.

ويندفع المسلم لمخالطة الناس وعدم اعتزالهم رجاء الأجر للحديث: «لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة.»[٨]

ويصبر على موت أولاده رجاء الجنة للحديث: «ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة من أولادهما لم يبلغوا الحنث إلا غفر لهما.»[٩] ويعتني المسلم بثيابه وجسده لأن الله يحب ذلك ففي الحديث: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال.»[١٠]

ويحب المسلم بقية المسلمين رجاء الأجر لا لمصلحة ذاتية للحديث: «من سرّه أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا اللّه.»[١١] ويقوم المسلم بكل نشاطاته الاجتماعية من تواصل وتناصح وزيارات وكرم مع الناس ابتغاء تحصيل محبة الله فقط، لا التزاما بالعادات الاجتماعية، ولا سعيا لمصلحة شخصية للحديث: «قال الله تعالى: حقت محبتي للمتحابين فيَّ، وحُقت محبتي للمتواصلين فيّ، وحُقت محبتي للمتناصحين فيّ، وحُقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحُقت محبتي للمتباذلين فيّ.»[١٢]

والمسلم يحب ويبغض ويعطي ويمنع رجاء تحصيل مزيد من الإيمان للحديث: «من أحب للّه وأبغض للّه وأعطى للّه ومنع للّه فقد استكمل الإيمان.»[١٣]

---

٦ رواه الترمذي في الزهد (٢٣٩٩)، وأحمد في باقي مسند المكثرين (٧٧٩٩ ، ٢٧٢١٩).

٧ رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٨٠)، ومسلم في الإيمان (١٤١)، والترمذي في الديات (١٤١٩)، والنسائي في تحريم الدم (٤٠٨٧)، وابن ماجه في الحدود (٢٥٨٠)، وأحمد في مسند العشرة (١٦٤٢).

٨ رواه الترمذي في الجنائز (٩٦٥) وأحمد في باقي مسند الأنصار (٢٣٦٣٦ ، ٢٥٨٥٣).

٩ رواه البخاري في العلم (١٠٢)، والجنائز (١٢٤٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٤)، والنسائي في الجنائز (١٨٧٣ ، ١٨٧٤)، وابن ماجه في الجنائز (١٦٠٥).

١٠ رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد في مسند المكثرين (٣٧٧٩)، ومسند الشاميين (١٦٧٥٦).

١١ رواه أحمد في باقي مسند المكثرين (٧٩٠٧ ، ١٠٣٦٠).

١٢ رواه أحمد في مسند الأنصار (٢١٥٧٥)، ومالك (١٧٧٩).

١٣ رواه الترمذي في البر و الصلة (١٩٢٤)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤١).

ويرفق المسلم بالحيوان وينأى بنفسه عن إيذائه خوفا من النار وطلبا للجنة للحديث: «بينما كلب يطيف بركية (بئر) كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت مُوقها، فاستقت له به، فغفر لها» وللحديث: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت.»[١٤]

ويخشى المسلم من الذنب وكفران النعمة، فيحرص على أن يظل باستمرار يتدرب على استعمال السلاح استعدادا للحرب للحديث: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا.»[١٥] وفي رواية: «فإنها نعمة كفرها.»

ويصبر الأعمى على عماه ويرضى به رجاء الجنة فتهون عليه مصيبته لقوله عليه السلام: «إن الله تعالي يقول: إذا أخذت كريمتيْ (عيني) عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة.»[١٦] ويزهد المسلم في الدنيا طلبا لمحبة لله للحديث: «ازهد في الدنيا يحبك الله.»[١٧]

وينأى المسلم عن سؤال الناس ويعتمد بعد الله على نفسه مستقلا عن الآخرين طمعا في الجنة للحديث: «من يتكفل لي أن لا يسأل الناس شيئا أتكفل له بالجنة.»[١٨]

ويمتنع المسلم عن إيذاء زوجته طمعا في حصول الخيرية عملا بالحديث «خيركم خيركم للنساء.» ويكون المسلم هينا لينا ومطيعا محبا لوالديه طمعا في الأجر ورضى الله الذي قضى بالإحسان للوالدين.

ويمتنع الوالد عن ظلم أولاده عملا بالحديث: «اتقوا الله وأعدلوا في أولادكم.»[١٩]

ويغالب الأب ميله للأبناء على حساب البنات، فيخص البنات برعاية زائدة طمعا في النجاة من النار كي ينجح في الابتلاء (الامتحان) للحديث: «من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له سترا من النار.»[٢٠]

---

١٤ رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٨)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٦)، والدارمي في الرقاق (٢٨١٤)، وأحمد في باقي مسند المكثرين (٧٤٩٤).

١٥ رواه مسلم في الإمارة (١٩١٩)، وأحمد في مسند الشاميين (١٦٨٨٥).

١٦ رواه الترمذي في الزهد (٢٤٠٠).

١٧ رواه ابن ماجه في الزهد (٤١٠٢).

١٨ رواه أبو داود في الزكاة (١٦٤٣).

١٩ رواه البخاري في الهبة (٢٥٨٧)، ومسلم في الهبات (١٦٢٣).

٢٠ رواه البخاري في الزكاة (١٤١٨)، وأحمد في باقي مسند الأنصار (٢٤٨٠٤).

وهكذا لو أردنا أن نبين بالأمثلة كيف تعمل الحوافز والدوافع في حياة المسلم الدينية والدنيوية كلها لاحتجنا لعشرات الصفحات. لكن من المهم أن نبين أنه قد وردت النصوص من الكتاب والسنة تتضمن الدوافع في كل جزئية من الصبر على المرض، والإنفاق في سبيل الله، وصلة الرحم، والاتصال الحسي مع الزوجة، والإحسان للجار، والرفق بالبهائم، إلى ما يصعب حصره من المسائل. ونتيجة لحضور دافع رضا الله في أعمال المسلم كلها، ولكون رضا الله مرهون حصوله بحصول الطاعات، ولما كانت طاعات الإله العظيم تتضمن الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة والإحسان للخلق فإنك تجد المسلم- إذا اندفع لنشاطات حياته المختلفة سعيا لرضا الله - صابرا كريما ورحيما متفائلا طموحا إيجابيا سويا مجاهدا محسنا مخالطا للناس رفيّقا بزوجته وبناته عادلا بين أولاده بارا بوالديه محسنا للحيوان ممتنعا عن كل أذى مواصلا دون كلل لأعمال البر والإحسان.

توصيات الباحث

يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بتدريس موضوع الدوافع لكافة المستويات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية. وذلك لما لهذا الموضوع من أهمية على مستوى تغيير السلوك نحو الأفضل، ولما له من أهمية في إحداث التوازن النفسي السوي، ولا سيما عند أصحاب المصائب والابتلاء والهموم والأحزان. كما أن موضوع الدافعية مهم لتنمية الطموحات عند الأفراد. ويمكن أن يتم لفت نظر أفراد الأمة الإسلامية لأهمية إخلاص النية واستحضار الغاية من الأعمال، وهي رضا الله وتحصيل الأجر على العمل منه بواسطة الكتب المدرسية وخطب الجمعة ووسائل الإعلام. ذلك أن العمل لا يكون منتجا ومؤثرا إلا إذا كان وراءه دافع كبير ونبيل مثل الدافع لرضا الله ودخول جنته والنجاة من عذابه في الدنيا والآخرة.

المراجع

[١] الحاج، فائز محمد علي. *الصحة النفسية*. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٧٧م.

[٢] عدس، عبدالرحمن. *علم النفس العام*. عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨١م.

[٣] زنتاني، عبدالحميد. *أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية*. بيروت: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٦م.

[٤] فهمي، مصطفى. *الدوافع النفسية*. القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٨٣م.
[٥] فراج، عثمان لبيب. *أضواء على الشخصية والصحة العقلية*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.
[٦] العسقلاني، أحمد بن حجر. *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م.
[٧] منسي، محمود عبدالحليم. *قراءات في علم النفس*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٢م.

Motivation in Islamic Faith

Marwan Ibrahim Al-Kaysi
Associate Professor, Dept. of Religion, College of Shariah,
Yarmouk University, Irbid, Jordan

Abstract. The significance of this research lies in the researcher's attempt to conclude a theory of motivation in Islam. For this purpose, he discusses the nature of Islamic motivation and its role in influencing the different kinds of human motives. The characteristics of Islamic motivation are also discussed.